# الخصوبة والإخضرار في قصيدة «من سبأ النبأ»

علي أحمد عبده قاسم

يقول الدكتور المقالح في مقدمة «ديوان اليمن» للشاعر سليمان «إن الشاعر المتمرس بالكتابة الشعرية هو الأقدر على المزاوجة بين الأشكال والبحور، وإن كثيراً من المزاوجات بين النظام «البيتي» والنظام «التفعيلي» بين «الموزون والنثري» قد يأتي لكسر نظام الرتابة أو لتحقيق المفارقة بين حالتين أو رؤيتين كما هو الحال في المزاوجة التي اتبعها سليمان العيسى في قصيدته والتي تحاول أنْ تثبت الصلة العضوية بين الشعرين التقليدي والحديث، لإثبات التجانس في القيمة الشعرية من جهة وإثبات المفارقة الموضوعية الدقيقة من جهة أخرى»، ولأن المتأمل في نصوص الديوان يدرك هذه المزاوجة بوضوح..

«وأعيد في عيني
وفي شفتي
وفي قلبي النبأ
ما بين سيل الذاريات الفاجعات
يمطرنني في الصحو
في الأرق المدمر
وفي السبات».

من المقطع السابق، يلحظ المتلقي الفعل المبني للمجهول «أعيد»، فكان حذف الفاعل يشي بالتعظيم والتخصيص وكان مضمون الإعادة يأتي إلى أماكن الإحساس والتعلم «عيني، قلبي، شفتي»، ليأتي من ذلك الشعور العميق بالمتعة والعزة، وكأن تلك الإعادة والعودة خصوبة «سيل» لا حدود له «يمطرنني» بشكل دائم واستمرارية في «الصحو، الأرق، السبات»، لينتج استمرارية زمنية غير مزمنة بالخصوبة، واستخدم الجر والمجرور «في الأرق، في الصحو، في السبات»، يوحي بالْيغال المستمر.

«ينهال في عيني
وفي شفتي
وفي وجعي
هولي، وللصحراء
وللأحياء وللأموات
للعرب النبأ».

فإذا كان في المقطع السابق تبشيراً للذات بالعودة بالاخضرار والخصوبة، فإن المقطع التالي تبشير عام وخاص «هولى» وللجدب الذي ينتفي بالعودة للاخضرار والخصوبة والعودة الحضارية وعودة للكرامة بشكل شامل «للأحياء وللأموات» و«للعرب»، فإذا كان شبه الجملة في المقطع الأول «في قلبي، في عيني، في شفتي» للإيفال فإن الجر والمجرور في «للصحراء، للعرب، للأحياء، والأموات» يفيد الخصوبة والعمومية، وهذه إشادة بالوطن باعتباره مهد الحضارة العربية وبعودة هذه الحضارة يعود للعرب جميعهم حضارتهم.

ويأتي المقطع الذي يلي بالتصريح مباشرة بالخصوبة.

«الصُّحر يورق في سبأ
الرمل يورق في سبأ
بلقيس تخرج في ملاءتها
وتضحك.. من شرفتها
تهلل للصباح
ميتين أو حيين لم أعبأ
سأبقى تحت شرفتها أغني
للتوابيت التي انتفضت
وللجثث التي نهضتْ
أصفق للنبأ
كالطفل.. أخرج بالولادة
بالقيامة من سبأ».

إنها عودة وميلاد وتحول الشعب جميعه إلى شعب ثري «أنا وأنتِ من الملأ»، «سأبقى» تحدٍ واستمرارية لتقبل الفرحة والبشرى بالحياة «للتوابيت التي انتفضت، للجثث التي نهضت» إنها بعث وحياة وتجدد وميلاد «أصفق للنبأ»، فرحة عارمة بخصوبة متجددة جاءت في تراكيب النص لتشير إلى تجدد حضاري وميلاد نهضوي في زمن يشبه المستحيل «أصفق، أفرح بالولادة، بالقيامة من سبأ».

إن النص يعكس خصوصية الميلاد وخصوصية الفرحة فهي لسبأ اليمن وللإنسان الحي وللإنسان الميت المكتئب بالخفوت الحضاري.

«هولي، للصحراء
للغسق الذي اكتسح الرؤى
حتى بدت عممُ العصور الكالحات
قدراً على شعب
يعود من الرفات، إلى الرفات».

إنها عودة للنورانية والهداية وتبديد للظلام والتخلف وللجدب والعقم والملأ للإنسان «هولي، للصحراء»، ومن يضمحل الظلام «للغسق الذي اكتسح الرؤى، فإذا عادت الخصوبة والاخضرار عاد الضوء والاعتبار للإنسان والتاريخ وللإشراق الحضاري، لاسيما وعودة للاستقرار والحياة.

«الماء يتدفق
يخضر في الوادي
وفجر ملئ مأرب ضوءاً
وأقول للسمراء للصحراء
إنا قادمون
وشاهدي هذا الذي
بعثته أيدي أخوتي
نفضت به التاريخ
أحلى ما يُهل.. وأضوأ».

للمياه
لاخضرار الواديين
تزف للملأ النبأ».

إنه تبشير بالتجدد والعودة الحضارية بما يشبه شيئاً من الاستحالة الصحر يورق...، والرمل يورق..، بلقيس تخرج»، وهذه استمرارية لعودة متحركة حضارية والألفاظ تشع بالجمال «يورق، تضحك، تهلل، تزف»، وتأتي خصوبة الأرض والإنسان «لاخضرار الواديين، تزف للملأ النبأ».

ولو استخدم الشاعر الجماهير لكانت أجمل تعبيراً للاقتراب من الناس والخصوبة لكل الناس، بينما الملأ هو علية القوم، وبذلك كانت العودة والإعادة عودة للحياة وللكرامة اليمنية متمثلة بحضارتها.

«وأنا وأنتَ من الملأ

# العمارة والأسطورة والروحانيات

كتاب «العمارة والأسطورة والروحانيات» والذي يعتبر دراسة تعود لأواخر القرن التاسع عشر في النظرية المعمارية للمؤلف وليام ليثابي، وترجمه للعربية د. طه عبدالعزيز الدوري وهو من أصدار مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث.

وهو كتاب فريد في طرحه للتعبير الجمالي الذي لا زال يشع بدفئه وألوانه إلى اليوم عن النظرية المعمارية، كما أنه طرح ملحّ وعميق في زمنه، ومازال يجذب إليه المهتمين والباحثين، ويقود إلى تجدّد الإلهام ، ولذلك فإن الكتاب ممتع وحري بالقارئ المعاصر الاطلاع عليه وتكوين رأي فيه، ففيه الكثير مما يشحذ الذهن ويرتبط بما نعيشه اليوم من شح الموارد وغموض جذور الماضي، وانقطاع الأسباب.

يشرح ليثابي في كتابه «العمارة والأسطورة والروحانيات» أن العمارة والبناء أمران مختلفان عن بعضهما بل هما منفصلان تماماً، وإن سكنت العمارة البناء سكن الروح بالجسد، هذه الفكرة هي مفتاح لكتاب ليثابي الرائد في طرحه للنظرية المعمارية باقتراح وجود منطق شامل عبر الزمان والمكان بدأ في فجر التعبير الجمالي في أواخر القرن التاسع عشر وما بعده، ويمتاز عمل ليثابي بروح طموحة يقترب معها مفهومه للنظرية من جذوة لهيب الفكر الإنساني ويقتبس منها ما ينير ظواهر تعبيرية وممارسات تجميلية في العصر الفكتوري، عصر المؤلف، ويحاول في الوقت نفسه تسليط الضوء على ممارسات أخرى بذات القبس في نقدٍ لبقٍ رشيق جاء متسقاً مع روح عصر شهدَ صحوة في تقييم مصادر التعبير وأصول الفكر الإنساني.

وبخلاف المبدأ الفلسفي في تقييم مصادر الفكر تميز ليثابي، ذو الخلفية المعمارية الحرفية، بنظرة عبرت بلاداً ومعتقدات وأزمان بيسر ظاهر واتزانٍ نأياً بالطرح عن تجرد الفَلسفة كما عنّ تقنية البناء وحرفته إلى مزج التوثيق البحثي بتشويق الأسطورة والطرفة في منظومة بها من جاذبية الغموض وسعة التحليق للخيال الشيء الكثير. ويزيد النص تنوعاً وملاءمة لمختلف فئات القراء من عموم المهتمين إلى الباحثين أن ليثابي مهندسٌ وبان تبدو درايتهُ بالتفصيل في دخائل التكوين ومقدرته على شرح سمات هيكلية أو منطق وظيفي كلما استدعى الأمر.

وتحتوي فصول الكتاب(12 فصلاً) تسلسلاً يقوم على طرح رموز معمارية تكرر ورودها عبر الزمن في إشارات متقاربة - يقترح المؤلف أنها في الأصل واحدة- على اختلاف المكان والظرف وأساليب البناء. فبعد مقدمة تطرح ضرورة التعبير الجمالي لاستقرار النفس، وعلاقة العمارة بالبناء- كعلاقة الروح بالجسد كما ذكر من قبل- يتناول الفصل الأول النماذج التقليدية والأسطورية لما يسميه المؤلف «نسيج العالم» وهو النظام الهيكلي الذي ترتفع به السماء فوق الأرض وارتباط السماء بها.

يلي ذلك تناول التعبير عن هذه التطورات الكونية من خلال دور العبادة البوذية وغيرها من المعابد الأولى التي قامت على مفردات إنشائية مستعارة من التصورات التقليدية لعلاقة السماء بالأرض كما في القباب المحمولة على مكان دائري للعبادة وهو التكوين النمطي للـ"ستوبا" المعبد البوذي التقليدي بحجمه الصغير نسبياً وتكوينه الانطوائي المتمركز حول مكان العبادة تحت القبة في إشارة لمركزية المعبود في السماء. وتأتي هذه التصورات للكون كمحور لما يلي من فصول تتتابع فيها أمثلة عن التعبير المعماري عن علاقة البناء بالجهات الأربع على اختلاف المواقع والظروف فيناقش صلة دور العبادة والعصور بقواعد راسخة تفسر اختيار مكان البناء بالتناسب مع حركة الشمس ومسار القمر.

يلي مغزى الجهات الأربع تحديد مركز فكري وروحي للعالم المأهول، ويقدم ليثابي مدينة القدس كمركز متعارف عليه، وإن كان طرحه لهذا العرف أقرب لمعرفة تراكمية غير مبنية على مرجع فكري موحد أو قاعدة مرتبطة بزمن أو مذهب فكري. تتسلسل الفصول التالية في بحث عن رموز مستقاة من الطبيعة أو تشبُّه بأصول طبيعية قد ظهرت بالتعبير المعماري لتمثيل مفردات كونية في سياق البيئة المبنية. بدأ بالشجرة التي تحمل الأحجار الكريمة، وهي في الغالب شجرة من معدن ثمين كالذهب أو الفضة وقد ازدانت فروعها بالماس والياقوت والزمرّد والعقيق ثمارا تعني الحياة. وتجمع الشجرة في تفاصيلها جمال الصورة وبهاء الكون لما يطرب من النغم حين يتغلل النسيم أغصانها مداعباً أوراقها المعدنية وثمارها الصخرية البلورية فيختلط رنين المعدن بالبلور في مؤتلف من نغم ولون وانعكاس الضوء يستغرق الحواس.

ومن شجرة الحياة إلى مدارات الكواكب وما اتصل بها من معان فلكية وتصاميم معمارية فسّرت الظهور المتكرر للكواكب وما أشار إليها في مباني القدماء، ويناقش ليثابي في هذا الموضع تقارب أشكال الاقتباس ومعانيه من مكان لآخر ومن بلد لآخر. ويتابع من مسارات الكواكب إلى متاهات Kabyrinth ولها ظهور واسع النطاق منذ الأساطير الإغريقية القديمة وفكرة الموت في أحضان الرجل الثور الذي عاش في أقبية قصر كنوسوس في كريت وتعددت ضحاياه حتى هزم الحب أسطورته حيث أعطت أريادني Ariadne العاشقة الذكية طرف الخيط لثيسيوس Thesius المقدام مسبغة ذكاءها ودفء عاطفتها على بطولة ثيسيوس وشجاعته فحارب الرجل الثور وانتصر ليجد طريقه إلى النور والحرية وقلب أريادني عند الطرف الآخر من الخيط. وتستمر المتاهة في كاتدرائيات العصور الوسطى كسجل لانتماء المعماريين ممن صمموا تلك الكاتدرائيات والقساوسة الذين رعوا البناء بدعم الكنيسة وأموالها حتى تصبح تلك المتاهات أراض للنزهة واللهو في حدائق قصور عصر النهضة وما بعده، حاملة في مسارها صورة مصغرة مما في الوجود من سمات المغامرة واحتمالات الضياع.

ثم يصل ليثابي لضرب آخر من الإشارة للسماء والكواكب في التعبير المعماري باعتلاء الشمس بوابات المعابد والقصور في بوابات الشمس الذهبية بما حملت من رموز يطرحها الفصل الثامن. وتبحث الفصول الأربعة الأخيرة رموزاً كونية طاغية الحضور في الدنيا البحر والسماء كمصادر لإلهام روائع العمارة والتأريخ الإنساني الواصف لها مثل وصف بلاط سليمان للأرضية التي حاكت في صفائها وصقل سطحها الماء فرفعت بلقيس ملكة سبأ طرف ثوبها ظناً أنها ستغوص في الماء، وتمثيل السماء المرصعة بالنجوم في معابد القدماء المصريين التي يقدم ليثابي سرداً لمختلف أساليب تمثيل السماء باللون والشكل المناسب كرسم النجوم على السقف، أو بأشكال ذات تعبيير مجازي كتصوير أنثى وقد تمدد جسدها ليغطي الجدار والسقف ونزولاً إلى الجدار المقابل.

المؤلف وليام ليثابي ولد في بارستابل عام 1857، وقد انتقل عقب قضائه مدة تدريب في مكتب مهندس معماري محلي إلى لندن عام 1879، قدر له في هذه المرحلة لقاء جون راسكن ووليم موريس ليغدو شخصية ذات شأن في حركة الفنون والحرف، انتدب في 1896 مديراً مشاركاً للمدرسة المركزية للفنون والحرف حديثة التأسيس وبحلول 1900 كان ليثابي أول أستاذ للتصميم في الكلية الملكية للفنون، وقد عمل بين عامي 1906 و1928 مساحاً في دير وستمنستر، وعاش ليثابي في الذاكرة قامة بالغة الأهمية في تطور العمارة الإنجليزية من خلال نظرية العمارة وأفكارها أكثر مما كان من خلال البناء.

مترجم الكتاب د.طه عبد العزيز الدوري حاصل على الدكتوراه في الهندسة المعمارية باختصاص التاريخ والنظرية والنقد من جامعة بنسلفانيا تحت إشراف العلامة د.جوزيف ريكورت، وعمل في تصميم وبناء مؤسسات الرعاية الصحية في نيويورك قرابة العشر سنوات قبل أن ينتقل إلى الإمارات العربية المتحدة أستاذاً زائراً في كلية الهندسة المعمارية في جامعة الشارقة، ثم أستاذاً مساعداً للتصميم الداخلي في الجامعة الأمريكية في دبي، ثم أستاذاً مشاركاً وإدارياً في NYIT في أبوظبي. تتعدد اهتمامات د.الدوري بين الصحافة والسينما والفنون التشكيلية حيث عرضت أعماله الفنية في نيويوك وأبوظبي ودبي.

## روحكِ المقمرة

هايل الغابري

لماذا كلما أثملتني زاد عطشي ؟!
لماذا لا يكفي الليل لكل هذا الحنين
ولا يتسع لكل هذا النشيد العارم ؟!
لماذا كلما أرسلتُ ناظري اليكِ
يتمنى أن لا يعود ؟!
ولماذا كلما غردتْ مثلكِ العصافير في نافذتي
لمعتْ بروقٌ في فضاء القلب ؟!
لماذا يا غناء القلب لا يكفي العمر
للإصغاء الى تراتيل روحكِ المقمرة ؟!
ولماذا كلما غادرتِ أنشدُ الخلودَ في
فردوسِ أنوثتك الغناء ؟!
ولماذا كلما فتحتُ لأطيافكِ مخيلتي
أحتاج لمساءٍ مقداره خمسون ألف سنة
مما يعدون ولا أرتوي ؟!
ولماذا كلما تمايلتِ طرباً أمطرتْ حواسي كلها
عطراً وربيعاً يملأ الوجود
ولا أرتوي ؟!
ولماذا كلما رسمتِ وردةً على صدري
أزهرتْ الفيافي وارتبك الغيم
ولا أرتوي ؟!
ولماذا كلما فتحتِ لي سماءً ورديةً بين ذراعيك
أشق لك صدري
ولا أرتوي ؟!
ولماذا كلما ولجتُ في أنفاسكِ وحواسكِ
أتزلزل حتى تضيئ الدنيا من حولي
ولا أرتوي ؟!
ولماذا أنهمرُ عمراً كاملاً
ودهراً كاملاً
ولا أرتوي ؟!
كأنكِ لم تضعي حدوداً أو مدىً لهذا العشق
.. العشق الذي يشعل أوقاتي كلها
وحياتي كلها
ولا أرتوي .
وكأنك لؤلؤة هذا الوجود
وجوهرته الوحيدة ..!!

صنعاء - فبراير2013م

## السعيد تحتفي بكتاب «اللغة اليمنية في القرآن الكريم»

تعز/سبأ

احتفت مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة أمس بتوقيع كتاب" اللغة اليمنية في القرآن الكريم " للباحث توفيق محمد السامعي والصادر من الهيئة العامة للكتاب.

وقدم الدكتور عبدالله محمد سعيد قراءة تحليلية للكتاب أشاد فيها بقدرات الباحث وامتلاكه ناصية المعرفة التاريخية اللغوية باعتماده على المراجع العلمية الموثوقة بدءاً من تاريخ اللغة واللغويين واللغات السامية ووجه العلاقة بينها من حيث الاختلاف والتشابه.

كما قدم الدكتور محمد عبدالرحمن السامعي عرضا موجزا للكتاب، واشار إلى أن الباحث بذل جهدا مميزاً، واستطاع أن يوائم فيه بين التطور الاجتماعي واللغة وكشف عن جوانب مهمة من تاريخ اليمن وحضارته .

وأوضح هشام السامعي في مداخلته أن الكتاب يعد إضافة نوعية للمكتبة التاريخية اليمنية باعتباره يؤرخ للعلاقة بين اللغة اليمنية ولغة القرآن الكريم ومرجعا مهما للباحثين والدارسين والمهتمين .

وكان مدير مؤسسة السعيد فيصل سعيد فارع قد ألقى كلمة قدم فيها الباحث مشيدا بالكتاب وتميزه وتفرده عن غيره بالكثير من المعارف والمعلومات العلمية التاريخية والذي يضيف جديدا للمكتبة اليمنية والعربية ويقدم خدمة للباحثين عن المعرفة ..مجددا التزام المؤسسة بتبني الإبداعات النوعية في مختلف المجالات المعرفية والثقافية والتي تقدم جديدا للمجتمع وللمعرفة الإنسانية.